مناقب سيدنا الشيخ أبي مدين الغوث

رضي الله عنهم وأرضاهم

جمع وتحقيق :

الشريف الحسني المشيشي الخيري
أبو بكر الصديق عبد الناصر
خادم الطريقة الشاذلية
القاطن بالمدينة المنورة
رضي الله عنهم وأرضاهم

الجزء الأول



مَنَاقِبُ ودِيوَانُ

القطب الرباني العارف بالله الغوث الصمداني الشيخ سيدي شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري الأندلسي الإشبيلي المتوفي عام 594 هـ بوادي يسَّر حوز تلمسان المدفون بعبَّاد تلمسان رضي الله عنه وأعاد على المسلمين من بركاته * آمين *

الجزء الأول



الحمد لله الذي اختار لمقام ولايته رجالا قصرت عن إدراك كمالهم عقول الفحول * وعجزت عن الوقوف على حصر ما أفاض الله تعالى به عليهم من النفحات القدسية واللمحات الأنسية بطون دفاتر المعقول والمنقول * كيف لا وهم أصحاب الدوائر * ومن على محورهم هذا النظام دائر * لا يحوم

حول منازلهم محجوب ولو كاد أن يشق بصافنات هواجسه جيوب الغيوب ❊ فأين الثريا وأين الثرى بل وأين سدرة المنتهى ❊

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المتردّي برداء ((كنت نبيا وآدم بين الماءِ والطين)) ❊ سيد الأولين والآخرين المنزل عليه ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ❊ وعلى آله الطيبين الطاهرين الأكرمين

❊ وأصحابه الغر الميامين ❊ وأزواجه المطهرات أمهاتنا أمهات المؤمنين ❊ وعلى التابعين وتابعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ❊ وعنا معهم بمنك وكـــرمك يا أرحم الراحمين ❊

أما بعد ❊ فيقول العبد الفقير كثير المساوي ❊ عبد الناصر أبو بكر الصديق الحسني المشيشي الجزائري ❊ بعد اطلاعنا على ديوان شيخ العارفين وإمام الواصلين ❊ شيخنا وولي نعمتنا سيدي

شعيب أبي مدين بن الحسين الأنصاري
❊ الأندلسي الأصل من حوز إشبيلية
ببلاد الأندلس ❊ أردنا أن نجدد طبع
هذا الديوان لينتفع به المحبين من أبناء
المدرسة الشاذلية ❊ ليعم الانتفاع إن
شاء الله ❊ وخدمةً للعلم والأدب ❊
وإجابةً للراغبين في مشرب ساداتنا
الصوفية المحققين ❊

فعسى أن نكون عند حسن ظنهم من
المقبولين ❊ ويجعلنا في سلك الصالحين

من أمة سيدنا محمد ﷺ * وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم * وابتغاء مرضاة وجهه العظيم * وهو حسبنا ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير *

تم تحريره وتحقيقه في المدينة المنورة
على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم
في العاشر من شهر محرم لعام 1417هـ

ترجمة صاحب الديوان
رضي الله عنه

بعد إطلاعنا على الديوان ❋ رأينا من المناسب لصاحب هذا المقام أن نجعل ترجمة خاصة لشيخنا سيدي أبي مدين رضي الله عنه ❋ فنقول كما هو مشهور عند العلماء الأعلام في سائر الأقطار الإسلامية ❋ هو الشيخ العارف بالله المحقق الواصل والموصِّل قطب زمانه سيدي أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري ❋ الأندلسي الأصل من حوز

إشبيلية ❁ كان رحمه الله تعالى فرداً من أفراد الرجال وصدراً من صدور الأولياء والأبدال ❁ جمع الله له بين الشريعة والحقيقة وأقامه ركن الوجود ❁ هادياً وداعياً للحق ❁ ويقصد بالزيارة من جميع الأقطار ❁ واشتهر بشيخ المشايخ ❁ وذكر التادلي وغيره أنه تخرج على يده ألف شيخ من الأولياء أولي الكرامات❁

وقال أبو الصبر كبير مشايخ وقته : كان أبو مدين زاهداً فاضلًا عارفاً بالله تعالى

❁ خاض بحار الأحوال ❁ ونال أسرار المعارف خصوصًا مقام التوكل ❁ لا يشق غباره ولا تجهل آثاره ❁

وقال التادلي : كان مبسوطاً بالعلم مقبوضاً بالمراقبة ❁ كثير الإلتفات بقلبه إلى الله تعالى حتى ختم له بذلك ❁ أخبرني من شهد وفاته أنه رآه في آخر الرمق يقول : ((الله الحق)) ❁ وكان من أعلام العلماء وحفاظ الحديث خصوصا جامع الترمذي ❁ كان قائماً عليه ورواه

عن شيوخه عن أبي ذر ❊ وكان يلازم كتاب الإحياء ويعكف عليه ❊ وترد عليه الفتاوى في مذهب الإمام مالك رضي الله عنه فيجيب عنها في الوقت ❊ وله مجلس وعظ يتكلم فيه فتجتمع عليه الناس من كل جهة ❊ وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف لتسمع وربما مات بعضها ❊ وكثيراً ما يموت بمجلسه أهل الحب ❊

وتخرج عليه جماعة كثيرة من العلماء

والمحدثين وأرباب الأحوال ❋ وكان شيخه أبو يعزى يثني عليه جميلًا ويخصه من بين أصحابه بالتعظيم والتبجيل ❋

وقرأ بفاس بعد قدومه من الأندلس على الشيخ الحافظ ابن حرزهم ❋ وعلى الفقيه الحافظ العلامة ابن الحسن بن غالب فقيه فاس رضي الله عنهم ❋ وذكر عنه أنه قال : كنت في أول أمري وقراءتي على الشيوخ إذا سمعت تفسير آية أو معنى حديث قنعت به وانصرفت

لموضع خال خارج فاس اتخذته مأوى للعمل بما فتح به علي ❋ فإذا خلوت به تأتيني غزالة تأوي إليَّ وتؤنسني ❋

وذكر الشيخ النبهاني رضي الله عنه في جامع كرامات الأولياء وعدّ جملة من كراماته أنه كان يقتات من لبنها ❋

قال رضي الله عنه : كنت أمر في طريقي بكلاب القرى المتصلة بفاس فتدور حولي وتبصبص لي ❋ فبينما أنا

ذات يوم بفاس وإذا رجل من معارفي بالأندلس سلم علي فقلت وجبت ضيافته ❋ فبعت ثوباً بعشرة دراهم فطلبت الرجل لأدفعها له فلم أجده هناك فخليتها معي وخرجت لخلوتي على عادتي ❋ فمررت بقرية فتعرض لي الكلاب ومنعتني الجواز حتى خرج من القرية من حال بيني وبينها ❋ ولما وصلت لخلوتي جاءتني الغزالة على عادتها فلما شمتني نفرت عني وأنكرت عليَّ ❋ فقلت ما وقع لي هذا إلا من أجل هذه

الدراهم التي معي فرميتها عني فسكنت الغزالة وعادت لحالها معي ❃ ولما رجعت لفاس جعلت الدراهم معي فلقيت الأندلسي فدفعتها له ❃ ثم مررت بالقرية في خروجي للخلوة فدار بي كلابها وبصبصت على عادتها ❃ وجاءتني الغزالة على عادتها فشمتني من مفرقي إلى قدمي وأنست بي وبقيت كذلك مدة ❃

ونقل النبهاني في الجامع المذكور نقلًا عن المناوي ❃ قال رضي الله عنه :

وأخبار سيدي أبي يعزى ترد علي وكراماته تداولها الناس وتنقل إليَّ ❋ فملأ قلبي حبه ❋ فقصدته مع جماعة الفقراء ❋ فلما وصلنا إليه أقبل على الجماعة دوني ❋ وإذا حضر الطعام منعني من الأكل معهم ❋

وبقيت كذلك ثلاثة أيام فأجهدني الجوع ❋ وتحيرت من خواطر ترد علي ❋ وقلت في نفسي إذا قام الشيخ من مكانه أمرغ وجهي في مكانه ❋ فقام

ومرغت وجهي فقمت ❁ فإذا أنا لا أرى شيئاً وبقيت طول ليلتي باكياً ❁ فلما أصبح الصباح دعاني وقربني ❁ فقلت له يا سيدي قد عميت ولا أبصر شيئاً ❁ فمسح بيده على عيني فعاد بصري ❁ ثم مسح على صدري فزالت تلك الخواطر عني وفقدت ألم الجوع ❁ وشاهدت في الوقت عجائب من بركاته ❁

ثم استأذنته في الانصراف بنية أداء فريضة الحج ❁ فأذن لي وقال لي :

ستلقى في طريقك الأسد فلا يرعك ❋ فإن غلب عليك خوفه فقل له بحرمة آل النور إلا انصرفت عني ❋ فكان الأمر كما قال ❋

فتوجه الشيخ أبو مدين للشرق وكانت الولاية عليه ظاهرة ❋ فأخذ عن أعلام العلماء واستفاد من الزهاد والأولياء ❋

لقاؤه بالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنهم

أقام الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني في جوار الحرم المكي لمدة ستة أشهر ينتظر مجيء الشيخ سيدي أبو مدين ❋ فاجتمعا أثناء الطواف عند الشوط الرابع بين الركنين ❋ وضع الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يده على كتفي الشيخ سيدي أبو مدين وقال له : يا أبا مدين لماذا أطلت الغياب ❋

فالتفت إليه وكان ما كان بينهما واللقاء أو الاجتماع بينهما بأمر من الرسول الكريم ﷺ ❊ فقرأ عليه في الحرم الشريف كثيراً من الأحاديث وألبسه خرقة الصوفية وأودعه كثيرا من أسراره وحلاه بملابس أنواره ❊ فكان سيدي أبو مدين يفتخر بصحبته ويعده أفضل مشايخه الأكابر ❊

وعن بعض الأولياء قال : رأيت في النوم قائلا يقول ❊ قل لأبي مدين بُث

العلم ولا تبالِ ❋ ترتع غدا مع العوالي ❋
فإنك في مقام آدم أبي الذراري ❋ قال
فقصصت الرؤيا على الشيخ فقال لي :
كنت عزمت على الخروج للجبال
والفيافي حتى أبعد عن العمران ❋
ورؤياك هذه تعدل بي عن هذا العزم ❋
وتأمرني بالجلوس ❋ فقولك ترتع غداً مع
العوالي إشارة لحديث حلق الذكر مراتع
أهل الجنة ❋ والعوالي أصحاب عليين ❋
ومعنى قوله أبي الذراري إن آدم أعطي
قوة على النكاح وأمر به ❋ ولم يجعل له

قوة على كون ذريته مطيعين ❋ وكذا نحن أعطانا الله العلم وأمرنا ببثه وتعليمه ولا قدرة لنا على كون أتباعنا موفقين ❋ وكان يقول : كرامات الأولياء نتائج معجزات سيدنا محمد ﷺ ❋

سند طريقته رضي الله عنه

يقول رضي الله عنه : طريقنا هذه أخذناها عن الشيخ أبي يعزى ❋ بسنده عن سيدي الجنيد ❋ عن سيدي سري السقطي ❋ عن سيدي حبيب العجمي ❋ عن سيدي الحسن البصري ❋ عن سيدنا الإمام علي رضي الله عنهم ❋ عن سيدنا ومولانا النبي الكريم ﷺ ❋ عن سيدنا جبرائيل عليه السلام ❋ عن رب العالمين عز وجل ❋

وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال : سمعت سيدي أبي مدين يقول : أوقفني ربي عز وجل بين يديه وقال لي : يا شعيب ماذا عن يمينك ❁ قلت يا رب عطاؤك ❁ قال وعن شمالك ❁ قلت يا رب قضائك ❁ فقال يا شعيب قد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا ❁ فطوبى لمن رآك أو رأى من رآك ❁

وعن سيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنه قال : جلت في ملكوت الله

تعالى فرأيت سيدي أبا مدين متعلقا بساق العرش ❁ وهو يومئذ رجل أشقر أزرق العينين ❁ فقلت له وما علومك وما مقامك ❁ فقال علومي واحد وسبعون علما ❁ وأما مقامي فرابع الخلفاء ورأس السبعة الأبدال ❁

وسئل عما خصه الله به فقال : مقامي العبودية ❁ وعلومي الألوهية ❁ وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية ❁ ملأت علومه سري وجهري ❁ وأضاء بنوره

بري وبحري ❋ فالمقرب من كان به عليما ❋ ولا يسموا إلا من أوتي قلبا سليما ❋ وهو الذي يسلم مما سواه ❋ ولا يكون في الوعاء إلا ما جعل فيه مولاه ❋ فقلب العارف يسرح في الملكوت بلا شك ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مرَّ السحاب﴾ ❋

وسئل في مجلسه عن الحب فقال : أوله دوام الذكر ❋ وأوسطه الأنس بالمذكور ❋ وأعلاه أن لا ترى شيئا سواه ❋

واختلف أهل مجلسه هل الخضر ولي أو نبي ❋ فرأى رجل صالح منهم معروف بالولاية تلك الليلة النبي ﷺ ❋ فقال ﷺ : الخضر نبي وأبو مدين ولي ❋

من كراماته رضي الله عنه

ومن كراماته ما ذكره التادلي وغيره ❊ أن رجلا جاءه ليعترض عليه فجلس في الحلقة ❊ فأخذ صاحب الدولة في القراءة ❊ فقال له أبو مدين أمهل قليلًا ثم التفت للرجل وقال له : لم جئت؟ ❊ فقال لأقتبس من نورك ❊ فقال له : ما الذي في كمك؟ ❊ فقال له مصحف ❊ فقال له : افتحه واقرأ في أول السطر يخرج لك ❊ ففتحه وقرأ أول السطر

فإذا فيه ﴿الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين﴾ فقال له أبو مدين : أما يكفيك هذا؟ ❊ فاعترف الرجل وتاب وصلح حاله ❊

وذكر صاحب الروض عن الشيخ الزاهد أبي محمد عبد الرزاق أحد خواص أصحابه ❊ قال : مر شيخنا أبو مدين في بعض بلاد المغرب فرأى أسداً يفترس حماراً وهو يأكل وصاحبه جالس بالبعد

على غاية الحاجة والفاقة ❋ فجاء أبو
مدين وأخذ بناصية الأسد فقال للرجل
أمسك الأسد واذهب به واستعمله في
الخدمة في موضع حمارك ❋ فقال يا
سيدي أخاف منه ❋ فقال لا تخف لا
يستطيع أن يؤذيك ❋ فمر الرجل بالأسد
يقوده والناس ينظرون إليه ❋ فلما كان
آخر النهار جاء الرجل ومعه الأسد
للشيخ ❋ وقال : يا سيدي هذا الأسد
يتبعني أينما ذهبت وأنا شديد الخوف
منه لا طاقة لي بعشرته ❋ فقال الشيخ

للأسد : اذهب ولا تعد ومتى آذيتم بني آدم سلطتهم عليكم ❊

ومن مناقبه مسألة تلميذه الذي غاظته زوجته بالليل فنوى فراقها ❊ فأصبح بمجلس الشيخ فقال له الشيخ ❊ أمسك عليك زوجك واتق الله ❊ فقال للشيخ والله ما حدثت بها أحدا ❊ فقال له حين دخلت المسجد رأيت هذه الآية في برنسك فعلمت نيتك ❊

وكذلك وقع له مع مسألة ابن محمد صالح لما استأذنه يوما مرارا في فرن خبز الفقراء بقوله إن التنور قد حمي وهو معرض عنه ❋ فلما أكثر عليه قال له : أدخل فيه ❋ ففعل ❋ ثم إن الشيخ بعد وقت تذكر طاعته ❋ فأمر تلميذاً آخر بافتقاده فوجده جالسا في وسط التنور والنار تمطر بردا وسلاما عليه إلا ما كان من موضع جبهته ❋ فإنه عرق عرقا رضي الله عنه ❋

ومن مشهور كراماته أنه لما اختلف فقهاء بجاية في حديث ((إذا مات المؤمن أعطي نصف الجنة)) ❋ فأشكل عليهم ظاهره إذ لو يموت المؤمنان فيستحقان كل الجنة ❋ فجاءوا إليه وهو يتكلم عن رسالة القشيري فكاشفهم في الحال بلا سؤال ❋ وقال لهم المراد أنه يعطى نصف جنته هو فيكشف له عن مقعده ليتنعم به وتقر عينه ثم النصف الآخر يوم القيامة ❋ وتكلم كيف يكشف للمؤمن عن مقعده في الجنة

وتنعمه بتلك الرؤيا واتصال الأرواح وغير ذلك مما يناسب هذا الكلام ❋

وكان أولياء وقته يأتونه من البلدان للاستفتاء فيما يعرض لهم من المسائل ❋ وذكر تلميذه عبد الخالق التونسي عنه أنه قال : سمعت برجل يسمى موسى الطيار يطير في الهواء ويمشي على الماء ❋ وكان رجل يأتيني عند صدع الفجر فيسألني عن مسائل لا يفهمها الناس ❋ فوقع ليلة في نفسي أنه موسى الطيار

الذي أسمع به * وطال عليّ الليل في انتظاره * فلما طلع الفجر نقر الباب رجل فإذا هو الذي يسألني * فقلت له : أنت موسى الطيار؟ * فقال نعم ثم سألني وانصرف * ثم جاءني مع رجل آخر * فقال لي صلينا الصبح في بغداد وقدمنا مكة فوجدناهم في صلاة الصبح فأعدنا معهم وجلسنا حتى صلينا الظهر * وأتينا بيت المقدس فوجدناهم في الظهر فقال لي صاحبي هذا : نعيد معهم؟ * فقلت لا * فقال لي ولم أعدنا

الصبح بمكة؟ ❋ فقلت له كذلك كان شيخي يفعل وبه أمرنا ❋ فاختلفنا وأتيناك للجواب ❋ فقال الشيخ أبو مدين فقلت لهما : أما إعادة الصبح بمكة فإنها بها عين اليقين ❋ وبغداد علم اليقين ❋ وعين اليقين أقوى من علم اليقين ❋ وصلاتكما الظهر بمكة وهي أم القرى ❋ فلذلك لا تعاد في غيرها ❋ فقال : فقنعنا به وانصرفنا ❋

وفي الحقائق المضرية عن أبي يزيد

البسطامي أنه قال : يظهر في آخر الزمان رجل يسمى شعيبا لا تدرك له نهاية ❊ قال وهو أبو مدين ❊ انتهى ❊

وكان استوطن بجاية ❊ وكان يفضلها على كثيرٍ من المدن ❊ ويقول أنها معينة على طلب الحلال ❊ ولم يزل بها يزداد حاله رفعة على ممر الليالي ❊ وترد عليه الوفود وذووا الحاجات من الآفاق ❊ ويخبر بالغيوب كما أخبرني بعض المشايخ رضي الله عنهم أن الشيخين القاضيين أبا

علي المسيلي وأبا محمد عبد الحق الإشبيلي رضي الله عنهما سمعا عنه أنه يأتي من العلم بفنون وأنه اطلع من أمر الله على سره المكنون مع أنه لم ينته بالقراءة من القرآن إلا إلى سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ * فظهرت له معالم العُلى وتحلى من مواهب الله بأحسن الحُلى * فكانت تلك السورة سدرة منتهاه وغاية مرماه * فكان الشيخان يتعجبان ويكادان يحيلان ما عنه يسمعان * فاتفق رأيهما على الاجتماع معه والإطلاع على ما

عنده ❊ فسارا إلى أحد مسجديه الذي كان يجلس فيهما مع بعض خواص أصحابه ❊ فدخلا فألفياه يفيض في أمور ويستخرج الدرر من قيعان البحور ❊ فجلسا إلى أن فرغ من كلامه ورجع إلى ما يخصه من مرامه ❊ فسلما عليه وسلم عليهما ولم يكن لهما به رؤية قبل ❊ فقال لهما : أما هذا فالفقيه أبو محمد عبد الحق ❊ وأما هذا فالفقيه أبو علي المسيلي ❊ فقالا نعم ❊ وكان هذا من جملة كراماته ❊ وإن صح أن يقال في هذا

أنه مما تقرر عنده من رسم الصفة فأحق أن ينسب ذلك إلى أهل الطريق كرامة ❋ فسألاه إلى أين انتهى بدراسته من القرآن وذكرا له أنهما سمعا عنه أنه انتهى إلى سورة ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وأنه لم يزد عليها ❋ فأجابهما رضي الله عنه وقال لهما : نعم كانت سورتي فوجدتها سدرتي ولو تعديتها لأحرقتني سُبُحَات الوجه الكريم ❋ ثم التفت إليهما مخاطباً بنزعةٍ صوفية مشيراً عن يمينه ويساره وهو يقول : بي قل وعلي دل

فأنا الكل ❋ فانفصلا عنه وقد تأكد العلم عندهما بأن لله مواهب لا تسعها المكاسب ❋ وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ❋

وأخبرني الشيخ أبو محمد عبد الحق بن ربيع عن أبيه الفقيه أبي الزهر ربيع رحمه الله ❋ أن والده أبا الزهر كان كتب لبعض الولاة ببجاية واكتسب معه مالا ❋ ثم رأى رؤيا مهولة وهي أن القيامة قد قامت وأنه يساق ليقذف به

في النار ❊ وأنه سأل عن السبب فقيل
بسبب ما اكتسب من المال ❊ فسأل
واستغاث فتخلى عنه ❊ فتاب إلى الله
وترك الكتابة ❊ واشتغل بملازمة العبادة
ولزوم القراءة ❊ واستعمل حرفة الخياطة
للمعيشة ❊ فلم يكفه ما ينتجه من ذلك
❊ فضاقت حالته وساءت ❊ فسار يوما
إلى والدته فأخبرها بضيق حاله وما
انتهى إليه أمره ❊ ورغب أن يجد
عندها فرجا ❊ فقالت يا بني والله ما
عندي شيء ولا أعلم لك نفعا سوى

هذا الرسم ❋ وهو رسم دار كانت لها
واغتصبها الموارقة حين دخولهم بجاية
واستمر الغصب عليها ❋ نخذه واطلب
الدار وهي لك ❋ فأخذت ذلك الرسم
ومشيت به إلى الفقهاء أستفتيهم فيه ❋
فاستفتيتهم فأفتوني بجواز الطلب والحق
لمستحقه وجب ❋ فقلت قد استفتيت
فقهاء الدنيا وعلماء الظاهر ولا بد أن
أستفتي فقهاء الآخرة ❋ قال فسرت إلى
الشيخ أبي مدين رضي الله عنه بالمسجد
المعروف الآن بمسجد الفقيه أبي زكريا

الزواوي رضي الله عنه بحومة اللؤلؤة فقصصت عليه القصة وسألته الفتيا فيها ❊ فقال رضي الله عنه : استفت ربك يفتك ❊ قال وكان هذا وهو ينتظر صلاة الصبح ❊ فأقام المؤذن الصلاة وتعلقت نفسي بالفتيا ❊ فلما كنت في الركعة الثانية من الصلاة عرض عليّ شبه سنة فرأيت مرجا مربعا مخضر الجناب رائق الجلباب وفي وسطه بركة ماء كأنها اللجين ❊ وفي ذلك المرج طاووس لا يرى في طواويس الدنيا مثله

❋ وإذا به يخاطبني بلسان فصيح ونطق بين صريح ❋ يقول لي أطلب حقا واجبا ❋ أطلب حقاً واجباً ❋ فأتممت الصلاة وجلست بمجلسه المبارك لاستماع الذكر ❋ وبعد فراغه وانصراف الناس عنه أقبل عليّ وقال لي ❋ أفتاك ربك ❋ فقلت له أفتاني يا سيدي ❋

قلت وفي هذا له رضي الله عنه كرامات ❋ إحداها إحالته على فتيا ربه ❋ الثانية صدور الفتيا له ❋ والثالثة

إخباره له بأن ربه أفتاه وأطلعه على ذلك ❋ وكراماته رضي الله عنه وأحواله المباركة الصادرة عنه مما لا يحصى وصفه ولا يسمع نظمه ووصفه ❋

وكان سيدي أبو مدين رضي الله عنه يتكلم في الحقيقة بعد صلاة الفجر بمسجده ❋ فسمع به رهبان دير يعرف بدير الملك وكانوا سبعة عشر ❋ فجاءه من أكابرهم عشرة بسبب الامتحان ❋ فتنكروا ولبسوا زي المسلمين ودخلوا

المجلس ❊ فجلسوا مع الناس ولم يعلم بهم أحد ❊ فلما أراد الشيخ أن يتكلم سكت حتى دخل رجل خياط فقال له الشيخ : ما أبطأك؟ ❊ فقال له يا سيدي حتى فرغت من العشرة أطواق التي أوصيتني بها البارحة ❊ فأخذها الشيخ منه ونهض قائما فألبس كل واحد من الرهبان طاقية ❊ فتعجب الناس من ذلك ولم يعلموا الخبر ❊ ثم شرع الشيخ في الكلام فكان من جملة قوله ❊ يا فقراء! إذا هبت نسمات التوفيق من جناب الحق

تعالى على القلوب المشرقة أطفأت كل نور ❊ ثم تنفس الشيخ فأطفأت القناديل وكانت أكثر من ثلاثين ❊ ثم سكت الشيخ وأطرق ❊ فلم يجسر أحد أن يتكلم أو يتحرك لعظم الهيبة ❊ ثم رفع رأسه وقال ❊ لا إله إلا الله يا فقراء ❊ إذا أشرقت أنوار العناية على القلوب الميتة عاشت وأضاء لها كل ظلمة ❊ ثم تنفس الشيخ فاشتعلت القناديل وعاد إليها نورها واضطربت اضطراباً شديداً حتى كاد يلحق بعضها

بعضاً ❊ ثم تكلم الشيخ في تفسير آية سجدة ❊ فسجدوا وسجد الناس ❊ فسجد الرهبان مع الناس خشية الفضيحة والاشتهار ❊ فقال الشيخ : اللهم إنك تعلم بتدبير خلقك ومصالح عبادك ❊ وإن هؤلاء الرهبان فقد وافقوا المسلمين في لباسهم والسجود لك ❊ وأنا قد غيرت ظواهرهم ولا يقدر على تغيير بواطنهم غيرك ❊ وقد أجلستهم على موائد كرمك ❊ أنقذهم من الشرك والطغيان وأخرجهم من ظلام الكفر

إلى نور الإيمان ❋ فما رفع الرهبان رؤوسهم من السجود إلا وقد مضى عنهم الهجران والصدود ودخلوا في دين الملك المعبود فأسلموا وبلغوا المقصود ❋ فأتوا إلى الشيخ وتابوا على يده وبكوا وندموا على ما كان منهم ❋ فكثر الصراخ والبكاء في المسجد ❋ وكان يوماً مشهوداً ❋ ومات ثلاثة أنفس في المسجد ❋ وبلغ الملك خبرهم فأحسن إليهم وأنعم عليهم ❋ وفرح الشيخ بإسلامهم ❋

ومن مشهور كراماته أنه كان ماشيا يوما على الساحل * فأسره العدو وجعلوه في سفينة فيها جماعة من أسارى المسلمين * فلما استقر في السفينة توقفت عن السير ولم تتحرك من مكانها مع قوة الريح ومساعدتها * وأيقن الروم أنهم لا يقدرون على السير * فقال بعضهم أنزلوا هذا المسلم فإنه قسيس * ولعله من أصحاب السرائر عند الله تعالى * فأشاروا إليه بالنزول * فقال : لا أفعل إلا إن أطلقتم جميع من في السفينة من

الأسارى ❊ فلما رأوا أن لا بد لهم من ذلك أنزلوهم كلهم ❊ وسارت السفينة في الحال ❊

ومن كراماته أيضا إنه قد دخل يوما في بعض سياحاته على عجوز في مغارة ❊ فأقام عندها فجاء ابنها آخر النهار فسلم عليه ❊ فقدمت العجوز سفرة فيها صحن وخبز ❊ فقعد الشيخ والابن يأكلان ❊ فقال الابن تمنيت لو كان هذا كذا ❊ فقال الشيخ سم الله وكل ما تمنيت ❊

فلم يزل يعدد التمني وهو يقول مقالته الأولى ❋ واللون الواحد ينقلب ألوانا كثيرة ويجد طعم ما يتمنى ❋

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي : وكان شيخنا أبو مدين إذا خطر له خاطر في نفسه وجد جوابه مكتوبا في ثوبه الذي عليه ❋ فخطر له يوما أن يطلق امرأته ❋ وكان بحضور العارف أبي العباس الخشاب ❋ فرأى مخطوطا في ثوب الشيخ ❋ أمسك عليك زوجَك ❋

وقال وسافر مرة مع جماعة ونزلوا في صحراء ❋ فسمعوا في الليل صوتا وخافوا المؤذيين وتمنوا ضوءا يؤنسهم لشدة الظلمة ❋ فصلى تحت شجرة ركعتين ودعا ❋ فأضاءت الشجرةُ حتى أشرق الموضعَ كله إلى الصباح وأَمِنُوا ❋

وقال وروينا أنه رضي الله عنه قرأ مرة في الصلاة قوله تعالى ﴿ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا﴾ ❋ فامتص شفتيه فلما فرغ قال : لما تلوتها

سقيت من الكأس ❊

ذكر الشيخ يوسف النبهاني رضي الله عنهم في كتابه جامع كرامات الأولياء فقال ❊ قال الشيخ المناوي : من كرامات سيدي أبي مدين رضي الله عنه أنه حَنَى رأسه يوما وهو بين أصحابه وقال : وأنا منهم اللهم أشهدك وأشهد ملائكتك أني سمعت وأطعت ❊ فسأله أصحابه عن ذلك فقال ❊ قد قال الشيخ عبد القادر الجيلاني الآن ببغداد قدمي

هذه على رقبة كل ولي لله ❋ فأرَّخوا ذلك وهم بالمغرب ❋ ثم جاء المسافرون من العراق فأخبروا أن الشيخ عبد القادر قال ذلك في ذلك الوقت الذي أرَّخوه ❋

لا تمدحن امرأ حتى تجربه
ولا تذمنَّه من غير تجريب

فهذه صفات الأولياء الأخيار ❋ والسادات الأبرار ❋ أمناء الله على عباده ❋ ورحمته لهم في بلاده ❋

وكان رضي الله عنه يكرر الحضور إلى مجالس العلماء في مدينة فاس وخصوصا مجلس أبي الحسن ابن حرزهم حتى فتح الله عليه بالمواهب العلية والأسرار الربانية ❊ وحقق التوجه والعمل وبلغ في مقامه الأمل ❊

قال سيدي الشيخ محي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي : لم يمت حتى تقطب قبل أن يغرغر بثلاث ساعات ❊ والقطبية للعارف منتهى آماله وغاية مناله

❋ ثم انصرف مشرقا وتردد في بلاد إفريقية واستوطن في الآخر بجاية وكثرت تلامذته وظهرت بركاته عليهم ❋

يقال أنه خرج على يده ألف تلميذ وظهرت لكل واحد منهم الكرامة والبركة ❋ ولذلك يقال له شيخ مشايخ الإسلام وإمام العباد والزهاد ❋

قال بعض الصالحين رأيت سيدنا النبي ﷺ في النوم ومعه أبو مدين وأبو حامد

❁ ثم سأل أبو حامد أبا مدين بين يدي سيدنا رسول الله ﷺ فقال له ❁ ما روح الروح؟ ❁ فقال له أبو مدين المعرفة ❁ قال فما روح المعرفة؟ ❁ قال له اللذة ❁ قال فما روح اللذة؟ ❁ قال نظرة إليه ❁ ثم غشيهم نور عظيم فأخذتهم الملائكة وصعدت بهم حتى غابوا في الهواء ❁ قلت وهذه درجة عالية ومكانة سامية سنية ❁

وكان الشيخ رضي الله عنه مشغولا

بالتربية والإفادة والتعليم والعبادة والإقبال على الله تعالى في الظاهر والباطن ❋ وقد ألف بعض الفضلاء كراماته وله بالنسبة إلى كل إنسان إسدآت حسان في أصول هذا الشأن بالكلام العجيب والمنزع الغريب ❋

وأنا أورد من ذلك ما لا بد مما صححته بالواسطة ❋ فكل كلمة من كلامه إذا اقتصر المقتصر عليها فتح عليه بسببها ونال المؤمل بطلبها وحصل له المرام وميزاب

الفضل بين العباد ❊ ولولا الإطالة لبينت كل كلمة على شواهدها وظهور فوائدها بطريق الصوفية وعوائدها ❊ لكن في حفظها والعمل عليها ما يرقى إلى منازل الأبرار ويوصل إلى عالم المقربين الأخيار ❊ جعل الله السعي في ذلك المسعى إلى الزلفى لديه ❊ إنه ولي ذلك والقادر عليه ❊

وبلغ رضي الله عنه من الورع مقاما عليا ❊ ونال من الزهد والتحقيق منالا سنيا

❊ تبعه المتقون وانتفع به المحققون ولازمه المصدقون ❊

وكان رضي الله عنه له أشياخ مشاهير وإخوان جماهير وأصحاب جواهر ❊ وأنا أشير إلى بعضهم قصد التبرك به وبهم ❊ وليس المراد التعريف بالرجال ❊ وإنما المراد ذكر بعض شواهد الأحوال ❊

ذكر أشياخه رضي الله عنهم

بعد أن انتقل رضي الله عنه إلى العدوة أخذ عن الشيخ أبي الحسن ابن حرزهم ❊ وعن الشيخ أبي يعزى وبه انتفع وعليه تخرج ❊ وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه من العارفين الراسخين ❊ قد خاض من الأحوال بحاراً ومن المعارف أسرارا ❊ وجال في حداثة سنه في بلاد المغرب من سبتة ومراكش وفاس ❊ ولازم بفاس الشيخ بن

حرزهم كما قلنا ❈ ثم سمع بخبر الشيخ أبي يعزى فقصده وأخذ عنه وظهرت عليه بركته ❈

قال الشيخ أبو مدين : لما قدمت فاسا لقيت بها الأشياخ ❈ فسمعت رعاية المحاسبي على أبي الحسن بن حرزهم ❈ وكتاب السنن للترمذي على أبي الحسن بن غالب ❈ وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق ❈ وأبي الحسن السلاوي ❈

قال : وكنت أزور الشيخ أبي يعزى مرارا ❊ فقال لي جماعة من الفقهاء والمجاورين لأبي يعزى ❊ قد ثبتت عندنا ولاية أبي يعزى ❊ ولكنا نشاهده يلمس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فيبرأن ❊ ونحن نرى أن لمسهن حرام ❊ فإن تكلمنا في هذا هلكنا وإن سكتنا حزنا❊

فقلت لهم : لو أن ابنة أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه إلا الزوج ولم

يوجد من يعاينه إلا طبيب يهودي أو نصراني ألستم تجيزون ذلك مع أنه دواء مظنون؟! ❊ ودواء أبي يعزى أنتم على يقين منه ❊ فبلغ كلامي أبي يعزى فاستحسنه ❊

ولقي بفاس الأشياخ والأخيار والفضلاء ❊ وقرأ على الشيخ الفقيه أبي الحسن بن غالب القرشي فقيه فاس كتاب السنن لأبي عيسى الترمذي ❊ وأقام بفاس مدة طويلة لطلب العلم ❊

وقد قال له سيدي أبي يعزى حينما استأذنه في الانصراف إلى أداء فريضة الحج ❊ ترى أسدا يعترضك في الطريق فلا يَرَعْك ❊ فإن اشتد خوفك منه فقل له بحرمة سيدي أبي يعزى اذهب عني ❊ ثم تجد ثلاثة من اللصوص عند شجرة فَتَعِظُهم ❊ فيتوب منهم اثنان على يدك ❊ ويضرب عنق الثالث ويصلب على الشجرة ❊

قال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه :

فلقيت الأسد فأقسمت عليه بأبي يعزى فتنحى من الطريق ❊ فلما خرجت من الشجرة قام إلي ثلاثة من الرجال فوعظتهم فأثر كلامي في قلب اثنين منهم فانصرفا ❊ وعاد الثالث إلى الشجرة فسمع به بعض الولاة فأخذه وضرب عنقه وصلبه على تلك الشجرة❊

وكان الشيخ أبو مدين يتردد إلى زيارة سيدي أبي يعزى وكان أبو يعزى يقول ((أَأَشُكُّ أرجاز الأندلس)) ومعناه تعال

يا رجل الرجال الأندلسي ❊ فنال أبو مدين من بركاته وشاهد العجب من كراماته ❊

ولما توفي والد سيدي أبي مدين رضي الله عنه كلفه إخوته رعي مواشيهم لأنه أصغرهم سنا ❊ فكان يخرج بها إلى المرعى ❊ فإذا رأى مُصَلِّيًا أو قارئًا دنا منه ووجد في نفسه غما عظيما من كونه لا يفعل مثله ❊ فيحدث إخوته بما يجد فينهونه ويأمرونه بالاشتغال بالرعاية

❊ حتى اشتد غمه لذلك وقويت عزيمته
على سلوك هذه المسالك فترك الماشية
وفر طالبا لما مالت إليه نفسه بتوفيق الله
تعالى ❊ فرده أحد إخوته وهدده بالحربة
❊ ثم قوي عزمه وفر بالليل فأدركه
بعض إخوته وسل عليه سيفه وضربه به
❊ فتلقى الضربة بعود كان في يده ❊
قال الشيخ أبو مدين : فسرت حتى
وصلت البحر ووجدت خيمة فيها ناس
❊ فخرج إلي منها شيخ فسألني عن أمري
فأخبرته وجلست عنده ❊ وإذا جعت

رمى بخيط في طرفه مسمار فيأخذ حوتا ويطعمه لي مشويا ❋ ثم قال لي انصرف إلى الحاضرة حتى تتعلم العلم ❋ فإن الله تعالى لا يعبد إلا بالعلم ❋

قال فخرجت إلى العدوة ونزلت بطنجة وانصرفت من هناك إلى سبتة فاحترفت مع الصيادين طلبا للعيش ❋ ثم قلت ما لهذا قصدت ❋ فانصرفت من هناك إلى مراكش وقصدت جماعة الأندلس ❋ فكتبوا اسمي في زمام الأجناد ❋

فقلت لبعضهم إنما جئت للقراءة ❊ فقال لي عليك بفاس ❊ فسرت إليها ولازمت جامعها ❊ ورغبت بمن يعلمني أحكام الوضوء والصلاة ❊

ثم سألت عن مجالس العلماء فسرت إليها مجلسا بعد مجلس ❊ وأنا لا يثبت في قلبي شيء مما أسمعه من المدرسين ❊ إلى أن جلست إلى شيخ كلما تكلم بكلام ثبت في قلبي وحفظته ❊ فقلت : من هذا الشيخ؟ ❊ فقيل لي أبو الحسن بن

حرزهم ❊ فلما فرغ دنوت منه وقلت له : حضرت مجالس كثيرة فلم أثبت على ما يقال ❊ وأنت كلما سمعت منك حفظته ❊ فقال لي هم يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الأذان ❊ وأنا قصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ❊ فلازمته ❊